# أهمية السنة النبوية ومنزلتها من القرآن الكريم

إذا كان القران الكريم هو أصل الشريعة الاسلامية ومصدرها الأول ، فإن السنة النبوية الكريمة هي المصدر الثاني من مصادر الأحكام الشرعية ، تستنبط منها الأحكام بعد القرآن الكريم ، فإن الباحث إذا لم يجد في القرآن الكريم الحكم الشرعي مما يريد معرفته من أحكام دينه ، لجأ الى السنة النبوية ، يبحث فيها عما يريد ، لقوله جل شأنه مخبرا بأنها من عنده تعالى ، وأن كلام هذا النبي ﷺ يعتبر وحيا من الله ؛ يقول تعالى : { والنجم إذا هوى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى } (النجم : 1-4 ).

فقوله ( صاحبكم ) يعني نبينا -ﷺ- فأخبر تعالى بأنه ما ضل عن الصراط السوي بسبب الجهل بالحق ، وأنه لم يكن من الغاوين الذين عرفوا الحق وتركوه عمدا ، بل إنه من الراشدين المهتدين ، وأنه لا ينطق عن الهوى ، وإنما يتكلم بما أوحى الله إليه .

ولذا فقد أمر الله تعالى بطاعة نبيه ﷺ في آيات كثيرة من كتابه الكريم ، منها :

1- فقال سبحانه وتعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً } ( النساء : 59 )

قال الطبري : يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ربكم فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه ، وأطيعوا رسوله محمدا ﷺ ، فإن في طاعتكم إياه لربكم طاعة ، وذلك أنكم تطيعونه لأمر الله إياكم بطاعته .

وهو أمر من الله بطاعة رسوله في حياته فيما أمر ونهى ، وبعد وفاته باتباع سنته ، وذلك أن الله عم الأمر بطاعته ، لم يخصص بذلك في حال دون حال ، فهو على العموم حتى يخصَّ ذلك ما يجب التسليم له انتهى .

وطاعة أولي الأمر . وهم العلماء و الأمراء . " إنما هي تبعٌ لاستقلال ، ولهذا قَرَنها بطاعة الله والرسول ولم يُعد العاملَ ، وأفْرَد طاعة الرسول وأعاد العامل ، لئلا يُتوهّم أنه إنما يطاع كما يطاع أولو الأمر تبعاً ، وليس كذلك ، بل طاعته واجبة استقلالاً ، سواء كان ما أمر به ونهى عنه في القرآن أو لم يكن " .

2- وقال تعالى: { اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ } ( الأعراف :3 ). أي: اتبعوا الكتاب ، ومثله السنة ، لقوله تعالى { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } ونحوها من الآيات ، وهو أمر للنبي ﷺ ولأمته .

3- وقال عز وجل: { وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } ( النساء : 69 ). قال الطبري: ( وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ ) بالتسليم لأمرهما ، وإخلاص الرضى بحكمهما، والانتهاء إلى أمرهما ، والانزجار عما نهيا عنه من معصية الله ، فهو مع الذين أنعم الله عليهم بهدايته ، والتوفيق لطاعته في الدنيا ، من أنبيائه ، وفي الآخرة إذا دخل الجنة ، والصديقين ... انتهى المقصود منه.

4- وقال تعالى { ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا } ( النساء : 125 ) .

فمعنى ( أسلم وجهه ): أي أخلص العمل لربه عز وجل .

(وهو محسن ) أي اتبع في عمله ما شرعه الله على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام ، وما أرسله الله به من الهدى ودين الحق .

وهما شرطان لا يصح عمل عامل بدونهما .

5- وقال سبحانه وتعالى: { فَلْيَحْذَرِ الذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُم فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ عَلِيمٌ } (النور : 63). قال ابن كثير: وقوله: { فَلْيَحْذَرِ الذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ } أي: عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه و طريقته وسنته وشريعته ، فتوزن الأقوال والأعمال ، بأقواله وأعماله ، فما وافق ذلك قُبل ، وما خالفه مردود على قائله وفاعله كائناً من كان ، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما : عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌ ".

أي: فليحذر و ليخش من خالف شريعة الرسول باطناً وظاهراً { أَنْ تُصِيبَهُم فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ عَلِيمٌ } أي: في الدنيا بقتلٍ ، أو حدٍّ ، أو حبسٍ أونحو ذلك .

وأيضا السنة النبوية الكريمة مبينة للقرآن الكريم ، وموضحه لمبهمه ، وشارحة لآياته ، كما قال تعالى { وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم } ( النحل : 44 )

ففي السنة مزيد بيان للتوحيد والإيمان ، وأعداد الصلوات ومواقيتها ، ومقادير الزكوات وأنصبتها ، ومناسك الحج والعمرة ، وكثير من المعاملات والأخلاق ، وآداب السلوك .

وإذا كان الأمر كذلك ، فإن علينا أن نتمسك بالسنة النبوية ، وأن نسير عليها ولو خالفنا من خالفنا من الناس .

وقد أوصى – ﷺ – صحابته بذلك ، ففي الحديث الصحيح عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع؛ فأوصنا ، فقال : " أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة " . رواه أحمد وأصحاب السنن .

فعلينا إذن أن نتمسك بالسنن بأيدينا ، وإذا خشينا أن تتفلت منا ، عضضنا عليها بالنواجذ التي هي أقصى الأسنان ، كما قال : " عضوا عليها بالنواجذ " .

" وإياكم ومحدثات الأمور " أي : ابتعدوا عن المحدثات وعن البدع والضلالات ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، فكل ما أحدث في دين الله تعالى فإنه من البدع ، التي هي مردودة على أصحابها.

كما قال ﷺ في الحديث الآخر : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه ، فهو رد " متفق عليه .

أي : مردود على أهله ، وعلى من جاء به ، لا أجر له فيه ، لأنه شرع شيئا لم يأذن به الله تعالى .

فلذلك من كان متمسكا بسنة نبيه ﷺ ، فإنه بلا شك سائر على طريق اليقين بحصول الأجر والثواب ، وحصول النجاة له في الآخرة .

فعليك ياعبد الله بسنة النبي -ﷺ- فسر عليها ، ولو خالفك من خالفك ، ولا تغتر بكثرة الهالكين ، ولا بكثرة المنحرفين .

فالصحابة كأنهم فهموا من تلك الموعظة أنه ﷺ سوف يودعهم ويفارقهم ، وقد يكون ذلك في آخر حياته ، لما وعظهم بتلك الموعظة ، فعند ذلك عهد إليهم وأوصاهم بما أوصاهم به ، وهو أن يتمسكوا بسنته ﷺ ، وسنة خلفائه الراشدين ، الذين هم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي -رضي الله عنهم- فإنهم الذين قاموا بالسنن بعده ، والذين هداهم الله وهدى بهم العباد ، وفتح بهم البلاد ، وانتشر بواسطة دعوتهم الإسلام ، ونقلوا لنا هم وبقية الصحابة كلام ربنا ، ونقلوا لنا أفعال نبينا ﷺ وأقواله وبقية سنته ، وكل ذلك من فضل الله تعالى علينا.

فالواجب علينا أن نتمسك بهذه السنة النبوية ، التي تركنا عليها -ﷺ- وأخبر بأن من سار عليها نجا ، ومن تركها فقد هلك وتعرض للهلاك .

فقال ﷺ : " كل أمتي يدخلون الجنة إلا أبى " قالوا : ومن يأبى يارسول الله ؟! قال : " من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى " رواه البخاري .

وضرب ﷺ لأمته مثلا ، فخط لهم خطا مستقيما ، وخط عن يمينه وعن شماله خطوطا ، وقال : " هذا صراط الله مستقيما ، وهذه السبل على كل سبيل منها شيطان ، يدعو إليها " ثم قرأ { وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله } ( الأنعام : 153 ) رواه أحمد والدارمي .

فقوله : " هذا صراط الله " يعني هذا الطريق المستقيم – هو صراط الله ، وهو سبيله الذي فرضه على عباده ، والذي أمرهم بأن يسألوه كل يوم في قولهم في صلاتهم : ( اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ).

وهذه السبل والطرق التي عن يمينه وعن شماله ، هي البدع والمحدثات والأهواء والآراء ، والتي من سار عليها فإنه في طريقه إلى الهلاك والضلال عن الصراط المستقيم .

فحذر ﷺ أمته سلوك تلك الطرق الملتوية المعوجة عن الصراط المستقيم ، والتي من سار عليها تردى ، ووصل إلى النار -والعياذ بالله-.

وأما من سار على الصراط السوي الذي لا انحراف فيه ولا اعوجاج ، فإن الله تعالى ينجيه من الضلال ، ويسلك به طريق الهداية الموصل للجنة .

فإن لكل فرقة طريقا تتخذه وتسير عليه ، ومطاعا ترجع في دينها إليه ، وقد أخبر النبي محمد – ﷺ- بأن أمته سوف تتفرق وتختلف ، فقال عليه الصلاة والسلام : " افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة " فقيل : من هم ؟ فقال : " من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي " . حديث صحيح مشهور ، رواه أحمد وغيره .

إذا كان النبي -ﷺ- قد أخبر بأن الذين على سبيل النجاة فرقة واحدة ، وهم الذين أخبر بأنهم ناجون ، فكيف ينخدع المسلم بالكثير والكثير بالذين خالفوا هذه السنة ، وساروا على طرق منحرفة ملتوية .

فعلى المسلم والمسلمة أن يتمسكوا بسنة النبي -ﷺ- ولو كثر المخالفون ، ولو كثر المبتدعون ، ولو كثرت النحل ، وتفرقت الفرق . وهذه الفرق وهذه النحل الثنتان والسبعون ، هي فرق البدع والمحدثات والضلال ، وهم الخارجون عن الصراط المستقيم ، وقد أدرك بعضَهم بعضُ الصحابة ، وفشوا وانتشروا في عهد التابعين ، وعظموا وعظمت الفتنة بعد القرون الثلاثة المفضلة ، فحدثت الفتن والبدع وانتشرت وتمكنت ، وهي التي حذرنا عنها ﷺ وأمرنا بأن نتمسك بالسنة الثابتة ، والسنة واضحة جلية – والحمد لله -.

فعلى المسلم أن يقصد وجه الله ، ويعمل برضاه ، ويسير على النهج القويم ، ودليله سنة النبي محمد – ﷺ – التي هي سبيل النجاة ، التي هي الوسيلة لمن أراد النجاة ، وأراد الاتباع ، وأراد أن يحشر في زمرة النبي محمد -ﷺ- . فأما ما يضاف إلى هذه السنة من البدع ومن المحدثات ، فإن ذلك لا شك أنه ضلال وانحراف .

فعلى المسلم أن يقصد وجه الله أولا ، وأن يتمسك بسنته التي كان -ﷺ- يوصي عباده بأن يسيروا عليها فهو في كل خطبة غالبا يقول لهم : " إن أفضل الكلام كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة " . رواه مسلم وغيره .

فيبين لهم أن النجاة تكون باتباع كلام الله تعالى ، وباتباع سنة النبي ﷺ .